أحكام الجِهَاد وفضائله

لسلطان العلماء

العزِّ بن عبد السلام السّلمي

– رحمه الله تعالى –

ملتقى شبكة السلف

Omar_rahal2005@yahoo.com

أما بعدُ: ...

حمدِ الله الذي جلَّت قدرتُه ، وعَلَت كلمتُه ، وعمَّت رحمته ، وسبغَت نعمتُه ، فإن أفضلَ الأعمال بعد الإيمان بالله: الجهادُ في سبيل الله ؛ لما فيه من محقِ أعداءِ الله وتطهير الأرض منهم ، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيديهم ، وصَون دماء المسلمين وأموالهم وحُرَمهم وأطفالهم ، وارتفاق المسلمين بما منحه الله من أراضي الكفار وأموالهم وإرقاق حرمهم وأطفالهم . ولذلك عظّم الله فيه أجرَ الطالب من المسلمين والمطلوب ، والغالب والمغلوب ، والقاتل والمقتول ، وأحيا القتلى فيه بعد مماتهم ، وعوّضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة أبديَّةٍ سرمديّة لا يصفها الواصفون ولا يعرفها العارفون .

وكذلك لَّما فارقوا الأهل والأوطان أسكنهم في جواره ، وآنسهم بقربه بدلاً من أُنس مَن فارقوه من أحبائهم لأجله! فطوبى لمن حصل على هذا الأجر الجزيل في جوار الرّبّ الجليل.

وإنما يحصل ذلك لمن قاتل في سبيل الله لتكون كلمةُ الله هي العليا وكلمةُ الذين كفروا السّفلى.

في فرض الجهاد[1] بالأنفس والأموال

قال الله عز وجل: { وجاهدوا بأموالكم وأنفُسكم في سبيل الله }[التوبة: 41]، وقال عز وجل: { كتب عليكم القِتالُ وهو كُرْهٌ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم واللهُ يعلم وأنتم لا تعلمون }[2][البقرة: 216]، وقال صلى الله عليه وسلم: { جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسِنتكم }[3][أحمد، أبو داود والنسائي] ، أي أغلِظوا لهم الكلام.

يشرُفُ البذلُ بشَرَفِ المبذول ، وأفضل ما بذله الإنسانُ نفسه وماله.

ولما كانت الأنفس والأموال مبذولةً في الجهاد جعلَ اللهُ مَن بذَلَ نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها ؛ لشَرَفِ ما بذله مع محو الكفر ومحق أهله ، وإعزاز الدين وصَون دماء المسلمين.

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" الجهاد في اللغة مشتق من " الجهد " وهو: المبالغَة واستفراغ الوسع في الشيء. وفي الشرع: هو القتال في سبيل الله تعالى بما يحقق المقصودَ من نفسٍ ومالٍ وكلامٍ "اهــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" لما كانت النفوس مجبولة على طلب السعادة التي لا تحصل إلا بالحياة والسلامة رغبت بما أبصرته في هذه الحياة الدنيا لعدم رؤيتها الآخرة، لذلك فإنها تكره القتال لظنها أنه حائل دون سعادتها بما يترتب عليه من الموت أو الجرح، فنبَّه الله تعالى في هذه الآية على هذا الأمر، وذكَّر العباد بعلمه وجهلهم ليسلموا لأمره الذي فيه سعادتهم باعتبار ما آمنوا به من وصفه جل جلاله "اهــ

(3) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" أما " الجهاد بالنفس " فهو مواجهة الأعداء والرباط لهم في ميادين القتال ومظانها، وأما " الجهاد بالمال " فهو تمويل وسائل الجهاد (كتمويل المقاتلين بالعدة والعَتاد، وخلفهم في أهلهم)، وأما " الجهاد باللسان " فهو المخاطبة بما فيه مصلحة الجهاد كالإعلام "اهــ

في التَّحريض على الجهاد

قال الله تعالى: { **فقاتل في سبيل الله لا تُكلَّفُ إلا نفسَك وحَرِّض المؤمنين عسى اللهُ أن يكفَّ بأسَ الذين كفروا** }[النساء: 84]، وقال تعالى: { **يا أيها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القِتال** }[الأنفال: 65].

من قاتل في سبيل الله بنفسه وحثّ على ذلك فقد باشَر الجهاد بنفسه وتسبَّب إلى تحصيله بحثِّه ، فحاز أشرفَ التّسبب والمباشرة ، وكان حثّه على ذلك أمراً بالمعروف الذي هو تلو الإيمان .

وإذا كان هذا لمن تسبّب بقوله، فما الظنّ بمن تسبب إلى ذلك بقوله وفعله فجَنَّدَ الأجنادَ وباشرَ الجهاد ؟ .

في فضل الجهاد

قال الله تعالى: { ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيما }[النساء: 74]، وقال تعالى: { وفضَّلَ اللهُ المُجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجاتٍ منهُ ومغفرةً ورحمةً وكان اللهُ غفوراً رحيماً }[النساء: 95-96].

وروى أبو سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال: { مَن رضي باللهِ رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً وجبت له الجنَّة } فعجب لها أبو سعيد فقال: أعِدها عليَّ يا رسول الله؟ فأعادها عليه ثم قال: { وأخرى يرفع اللهُ بها العبدَ مئةَ درجةٍ في الجنة، ما بين كل درجتين مثلُ ما بين السماء والأرض } قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: { الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله }[مسلم]، وقال ﷺ: { إن في الجنة مئة درجةٍ أعدَّها اللهُ تعالى للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السماء والأرض }[البخاري]، وقال ﷺ: { مَثَلُ المجاهد في سبيل الله كَمَثَل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيامٍ ولا صلاة حتى يرجع المجاهدُ في سبيل الله تعالى }[متفق عليه]، وسُئل ﷺ: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: { إيمانٌ بالله ورسوله }، قيل ثم ماذا؟ قال: { جهادٌ في سبيل الله }، قيل: ثم ماذا؟ قال: { حجٌّ مبرور }[متفق عليه].

إنما فضَّلَ اللهُ الجهادَ وجعله تلوَ الإيمان لما ذَكرنا من مصَالِحِه العاجلةِ ومنافعه الآجلة .

الخروج في سبيل الله

قال ﷺ أنه قال: { تضَمّنَ اللهُ لمن خرج في سبيل الله (لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمانٌ بي وتصديقٌ برُسُلي) ، أن أدخله الجنةَ أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجرٍ أو غنيمة }[متفق عليه] ، وحكى عن ربه عز وجل أنه قال: { أيُّما عبدٍ من عبادي خرج مجاهداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي ضَمِنتُ له إن رَجَعتُه أرجعه بما أصاب من أجرٍ أو غنيمة ، وإن قبضتهُ غفرت له ورحمته }[أحمد، النسائي والترمذي].

إنما ضمن الله الرجعة والرضوان والغفران لمن جاهد في سبيله ابتغاءَ مرضاته ونصرةً لدينه؛ فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريدَ به وجهه .

النفقة في سبيل الله

قال اللهُ تعالى: { **مَثَلُ الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبَّةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ في كل سُنبلة مئةُ حبَّة** }[البقرة: 261]، وقال رجل: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: { **مؤمن مجاهدٌ بنفسِه وماله في سبيل الله، ثم رجل في شِعْبٍ من الشِّعابِ يعبُدُ الله** }[متفق عليه].

إنما شرفت النفقة في سبيل الله لأنها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان ، وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبع مئةٍ فما الظنُّ بحسنة الجهاد في سبيل الله ؟

في الاستعانةِ باللهِ استنصاراً له

قال اللهُ تعالى: { **إذ تستغيثون ربّكم فاستجاب لكم أني مُمِدّكم بألفٍ من الملائكة مُردِفين** }[الأنفال: 9]، وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم بدر: { **اللهم أنجز لي ما وعدتني** }[متفق عليه].

في من رأى عدواً فخافه

كان رسول الله ﷺ إذا رأى قوماً فخافهم[1] قال: { **اللهم إني أعوذُ بك من شرورهم وأدرأ بك في نحورهم** }[أحمد، أبو داود والنسائي].

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" هذا كلام الراوي، والحق أن يقال: إذا رأى قوماً شريرين ونحو ذلك؛ موافقة للكمال المحمدي الشريف. وينبغي أن يقال: من رأى عدواً شريراً "اهـ

في ذكر الله في القتال

قال الله تعالى: { **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثْبُتُوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** }[1] .

في بيع المجاهد نفسه وماله

قال الله تعالى: { **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومَــن أوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** } [2] [التوبة: 111].

في الوفاء ببيعة الله

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" وفي هذا الأمر فضلاً عما في نفس الذكر من البركة والعون: عدم الغلة عن الله تعالى بأنه الصّمد الذي لا يتحقق شيء إلا بأمره ولا حول ولا قوة إلا به، كما قال سبحانه وتعالى: { وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى }. "اهــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" وهذا البيع حاصل لا يملك المؤمن فيه خِياراً، وهو يعني أنه مؤتمن على نفسه وماله فلا يلتفت إلى غير تلبية النداء عند عدم العذر الصحيح شرعاً وإلا كان متخلفاً عن الله تعالى، مخلاً بالأمانة ــ نعوذ بالله تعالى من ذلك ــ "اهــ

قال الله تعالى: { إن الذين يبايعونك إنما يُبايعون اللهَ يدُ الله فوق أيديهم فمن نكثَ فإنما ينكثُ على نفسه ومَن أوفى بما عاهد عليه اللهَ فسنُؤتيه أجراً عظيماً } [1] [الفتح: 10].

في البيعة الموجبة لرضى الله

قال الله تعالى: { لقد رضي اللهُ عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة }[2][الفتح: 18].

اختُلِفَ في هذه البيعة: فقيل " بايعوه على أنهم لا يَفِرّون "، وقيل " بايعوه على الموت ".

في فضل الغُبار في سبيل الله

قال ﷺ: { لا يلجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله عز وجل حتى يعودَ اللبنُ في الضَّرع [3]، ولا يجتمعُ على عبد غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنم }[أحمد، النسائي والترمذي]، وقال ﷺ: { ما اغبرّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسّه النار }[البخاري].

إذا كانت مشقّة الغُبار عاصمةً من عذاب النار، فما الظنّ بمن بذل ماله وغرَّر بنفسه في قتال الكفار؟

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" والبيعة لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حاصلة بالإسلام على كل مؤمن في كل زمان ومكان "اهـ .

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" يعني: ومن تبعهم بإحسان على هذه البيعة في كل زمان ومكان "اهـ

(3) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" وخير البكاء في المقام: البكاء على العجز عن الالتحاق في صفوف المجاهدين، وابتغاء رحمة الله تعالى ولطفه وتأييده للمجاهدين "اهـ

فضل الحراسة في سبيل الله

قال ﷺ: { طوبى لعبد آخذٌ بعِنان فرسِه في سبيل الله ، أشعث رأسُـــه ، مغبَّـــرةٍ قدماه ، إن كان في الحِراسة كان في الحِراسة ، وإن كان في السّاقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يُشَفَّع [1] }[البخاري].

الحراسة في سبيل الله ضربٌ من الجهاد ، ثوابها على قدر نفعهـــا وجـــدواها وطولهـــا وقصرها ، ولا يخفى ما في الحراسة من نفع المسلمين .

فضل الرّمي في سبيل الله

قال الله تعالى: { وعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عـــدوَّ الله وعدوّكم }[الأنفال: 60]، وقال ﷺ: { ألا إن القوّةَ الرَّمي }[مـــسلم] ، وقال ﷺ: { من رمى بسهم في سبيل الله تعالى ــ بلغَ العدوَّ أو لم يبلغـــه ــ كـــان كعتق رقبة } [2] [النسائي، الترمذي وابن ماجة].

وإنما شرُف الرّميُ لعموم منفعته ؛ لأنه يُقاتل به القاصي والـــداني ، ومـــن القـــلاع والحصون ، ومن الأودية والوهاد مع غلبة سلامة الرّماة ، ولا يتأتى مثل ذلك في السيف والسّنان ، ولذلك حث رسول الله ﷺعلى تعلم الرَّمي .

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في ذكر الاستئذان والشفاعة هنا إشارة إلى الذين يُبادرون إلى ذلك من أنفسهم لرؤيتهم خطراً محدقاً بالمسلمين "اهــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" وفي هذا حث على حفظ الحياة ما أمكن طلباً لزيادة الطاعة "اهــ

فضل السّهر في سبيل الله

قال رسول الله ﷺ: { **حُرّمت النارُ على عينٍ بكت من خشية الله، وحرمت النار على عين سَهرت في سبيل الله** }[أحمد والحاكم].

من سهر في سبيل الله فقد ترك غرَضَه من النوم طاعةً لله بما يتجشّمُه من خوفِ العدو ، ولذلك حُرِّمت عينُه على النار .

فضل قتل الكافر في سبيل الله

قال ﷺ: { **لا يجتمع كافِرٌ وقاتلُه في النار أبداً** }[مسلم].

إنما لم يجمع اللهُ بين الكافر وقاتله في النار من جهةِ أنه محا كفرَه من الأرض، ولا فرق بين أن يقتله مغرّراً أو غير مغرّر، فلو رماه من بُعْدٍ ـــ مع أمنه منه ـــ لم يجتمـــع معـــه في النار، إلا أن أجر المغرر أتمُّ؛ لأن الأجر على قدر النَّصَب.

فضل الصوم في سبيل الله

قال ﷺ: { **من صام يوماً في سبيل الله باعد الله وجهـــه عـــن النـــار ســـبعين خريفاً** }[متفق عليه].

إنما يُشرع الصوم في الجهاد في حقِّ من لا يؤثّر الصومُ في قواه ، ولا يضعفه عن ملاقاة العدو[1].

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـــ حفظه الله ـــ:" ولا يخفى ما فيه من الحكمة في حفظ الزاد والإيثار عند الحصار ونقص الإمداد "اهـــ

فضل مشاقِّ الغزو

قال الله تعالى: { ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه؛ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفارَ ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كُتب لهم به عملٌ صالحٌ إن الله لا يُضيعُ أجرَ المُحسنين * ولا يُنفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كُتِبَ لهم ليجزيهم اللهُ أحسن ما كانوا يعملون }[1][التوبة: 120-121].

جعل الله الأجرَ على هذه المشاقّ التي تلحق المجاهد في طريقه لأنّ الثواب على قدرِ النّصَب.

وقد روي عن الله عزّ وجلّ أنه قال: { بِعَيني[2] ما يتحمّلُ المتحمّلون من أجلي }.

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في الآية أمرٌ بعدم الاستسلام للعدو مهما كانت الظروف الشخصية "اهــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" هذا اللفظ من الألفاظ التي تعلق بها بعض المبتدعة الجاهلون بالله تعالى لإثبات المثل جملة أو تفصيلاً! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومذهب أهل الحقّ (أهل السنة والجماعة حقاً) فيها: التفويضُ أو التأويل، وجوباً في الأول وندباً في الثاني. فيكون المراد بقوله تعالى " بعيني ": تعليق الأمر بصفة يعلمها الله تعالى على مذهب التفويض، أو بحفظي الجزائي (الذي أحفظ به للعبد عمله الصالح لأجزيه خيراً في الدنيا والآخرة)؛ كما بيّن الله تعالى في الآية على مذهب التأويل، والمذهبين على تتريه الله تعالى عن العين بالمعنى الخلقي (وهي الآلة التي يُرى بها الأشياء) كما هو متزّه عن جميع معاني الحوادث سبحانه وتعالى "اهــ

في وصية الإمام الغزاةَ

كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سريَّةٍ أوصاه في خاصَّته بتقــوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال: { **اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفــر بالله، ولا تَغلوا ولا تغدِرِوا ولا تُمثّلوا ولا تقتلوا وليداً** } (1) [مسلم وأحمد].

وصيّة الغزاة نصح لهم ، وهي من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فضل تجهيز الغزاة

قال رسول الله ﷺ: { **مَن جهّز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَف غازياً في سبيل الله في أهله بخير فقد غزا** }[متفق عليه].

تجهيزُ الغزاة وخلافتهم في أهلهم مندرجٌ في قوله تعــالى: { **وتعــاونوا علــى الــبرّ والتقوى** }[المائدة: 2]، والجهاد من أبرّ البرّ ، والمعونة عليه من أفضل المعونة.

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هذا الخبر حثّ على استحضار النية وتثبيت العزيمة في القتال، وإرشاد لآداب الغزو في الإسلام "اهـــ

في فضل الإخلاص في الجهاد

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعةً ، ويُقاتل حميَّةً ، ويُقاتل ريـــاءً ، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: { **مَن قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله** } [1] [أحمد ومسلم].

الفضائل المذكورةُ في الجهاد خاصّة في من جاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الله هي " لا إله إلا الله "[2]، ولا يقبل اللهُ من الأعمال إلا ما أريد به وجهه.

فضل الخروج يوم الخميس

قلّ ما كان رسول الله ﷺ يخرج في سفرٍ إذا خرج إلا يوم الخميس[3][البخاري].

ينبغي للمجاهد أن يخرج يوم الخميس اقتـــداءً برســـول الله ﷺ في أســـفاره ؛ لأن الأعمال تُعرض على الله يوم الخميس ، فيُعرض عليه أن فلاناً خرج مجاهـــداً في ســـبيلك وابتغاء مرضاتك .

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" فيجب بهذا الإخلاص في الجهاد لله تعالى، وهو يدل على أن المسلمين ليس يغزون بناءً على شيءٍ من تلك النوايا، ولا يقصدون الاستواء على الكفار وبلادهم لأسبابٍ دنيويَّة "اهـــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" هذا في الغزو، وأما في الدفع عاماً كان أو خاصاً ففي مقتضى هذه الكلمة العليا (وهي الحقوق والحدود التي بينها الشَّرع) "اهـــ

(3) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" هذا دليل على فضل يوم الخميس ، وجواز تخصيص الأيام الفاضلة وتحريها في الأعمال خاصَّة "اهـــ .

في خروج الإمام في السَّرايا

قال ﷺ: { والذي نفسي بيده، لولا أن أشُقّ على المؤمنين ما قعدتُ خلفَ سريَّةٍ تغزو في سبيل الله، ولكن لا أجدُ سَعَةً فأحملهم، ولا يجدون سعة فيتّبعوني، ولا تطيبُ أنفُسُهم أن يقعدوا بعدي }[متفق عليه].

هذا من رفق رسول الله ﷺ بأصحابه وأتباعه؛ ترك الخروج في جميع السّرايا لئلا يشقّ على الضعفاء، واعتذر بأنه لا يجدُ ما يحملهم عليه ولو وجد لفعل ﷺ.

فضل الغُدُوِّ والرَّواح في سبيل الله، والرِّباط

قال ﷺ: { غدوةٌ في سبيل الله أو روحةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها، ورِباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها }[1][البخاري والترمذي].

إذا كانت الغدوةُ والروحة في سبيل الله خيراً من الدنيا وما فيها، فما الظنّ بمن واظب على ذلك الشَّهرَ والشَّهرين، والسنةَ والسنتين ؟ .

فضل الجراح في سبيل الله

قال ﷺ: { ما من مؤمن يُكلَم في سبيل الله ــ والله أعلم بمن يُكلم في سبيله ــ إلا جاء يوم القيامة وجُرحه يثْعَبُ دماً: اللون لون الدّم والرّيحُ ريحُ المسك }[2][متفق عليه].

إنما يجيء الجرح كذلك يوم القيامة تفضيلاً له على أهل الموقف ، ونداءً عليه بأنه بذلَ نفسَه حتى جُرِحَ في سبيل الله.

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في الخبر حث على متابعة ضرب العدو، وفضل العمل بواجب ترقب العدو لقتله "اهــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في الخبر فضلاً عن بيان فضل الجراح في سبيل الله تعالى: تحذير من الرياء والنفاق "اهــ

فضل الغالب في سبيل الله

قال الله تعالى: { **ومن يُقاتل في سبيل الله فيُقتَل أو يَغلِب فسوفَ نؤتيه أجراً عظيماً** }[النساء: 74].

عظم الله أجرَ الغالب في سبيل الله لأنه امتثل أمرَ الله بقتل أعداء الله ودفع شرّهم عن أولياء الله.

فضل المقتول في سبيل الله

قال الله تعالى: { **ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يُرزقون * فرحين بما آتاهم اللهُ من فضلِه** }[آل عمران: 169-170]، قال ﷺ: { **أرواحهم في جوفِ طيرٍ خضرٍ لها قناديلُ معلّقةً بالعرشِ تسرحُ من الجنَّة حيث شاءت** }[1][مسلم].

لما بذل الشهداءُ أنفسهم لأجل الله أبدلهم اللهُ حياةً خيراً من حياتهم التي بذلوها، وجعلهم جيرانه[2] يبيتون تحت عرشه، ويسرحون من الجنة حيث شاءوا لّما انقطعت آثارُهم من السُّروح في الدنيا.

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" هذا أعلاها، وقد أطلعنا على مزيد، منه: عدم الألم في الموت، وتظليل الملائكة الكرام له، وتكفير جميع الذنوب، الأمن من فتنة القبر والفزعِ عند النشر، والشفاعة لبعض أهل بيته، وإيجاب الجنة، وغير ذلك مما يجعله يتمنى الرجوعَ إلى الدنيا ليعاود ما فعلَ فرحاً بما أعطاه الله تعالى "اهـ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" **ألفاظ الزمان والمكان المضافة إلى الله تعالى إنما يُقصد بها التشريف بالنسبة** كما يُقال في المسجد بيت الله؛ لأن ذلك من معاني الحدوث، والله تعالى متزه عنها { هو الأول والآخر والظاهر والباطن } "اهـ

في رفق الإمام بالغزاة

قال ﷺ: { **اللهم مَن وَلِيَ من أمر المسلمين شيئاً فرَفَقَ بهم فارفُقْ به، ومَن شَــقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه** }[1][مسلم].

على من تولى أمر المسلمين في جهاد أو غيره ألا يكلفهم ما لا يطيقون ، ولا ما تــشدّ مشقته عليهم ، فلا يغزي قوماً ويريح آخرين ، بل يُناوب بينهم في ذلك فيغزي بعــضهم ويريح بعضهم ثم يُغزي المستريحين ويريح الغازين ، إلا أن يحضر مهمّ فيجمع لــه جميــع الغزاة.

في التكبير على الكفار

لما أشرفَ رسول الله ﷺ على خيبر وقد خرج أهلُها قال: { **اللهُ أكبر ، خربــت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرين** }[2][البخاري].

ذكر كبرياء الله عز وجل حاثٌّ على تعظيمه ، وعلى قتل الكفار الذين نسبوه إلى ما لا يليق بجلاله من الشريك والصاحبة والولد كما زعم النصارى في المسيح عليه السلام.

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هذا الخبر إشارة إلى وجوب الطاعة للوالي ولو كان ظالماً، وفي ذلك يقول سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: { وإن كان أسود ذا زبيبتين منفوخ الخيشوم فاسمع وأطع، وإن ضرب الظهر وأخذ المال }، فقيل: يا رسول الله! أرأيت إن ولي علينا أمراء يطلبون منا حقوقهم ولا يعطونا حقوقنا؟ فقال: { أعطوهم حقوقهم واطلبوا حقوقَكم من الله؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم } "اهـــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هذا الخبر إشارة إلى وجوب إنذار الكفار من عواقب كفرهم قبل غزوهم "اهـــ

في وقت القتال

كان رسولُ الله ﷺ إذا لم يُقاتل أول النهار أخَّرَ القتالَ حتى تزول الشمسُ وتهبّ الريحُ وينزل النصر[1][أبو داود].

القتال أول النهار أفضل ؛ لبرده ، واستجمام القوى فيه ، واتساع النهار لإكمال أغراض القتال . فإن فات فبعد الزوال حين تُفتح أبوابُ السماء ويتسع الوقت.

في البداية بالرمي

قال ﷺ : { **إذا أكْثَبُوكم فارموهم بالنبل ولا تسلوا السيوفَ حتى يغشوكم** }[2][عبد الرزاق وأبو داود].

لا تُسل السيوف مع بُعد الكفار ؛ إذ لا فائدة في سلها ، بل يُرمون بالنبل إلى أن يتدانى الفريقان فحينئذٍ تُسَلّ السيوف.

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" هذا مبني على المناسبة ابتداءً، وقد تغير الحال في زماننا بعد ما حدث من التكنولوجيا، ويستحب الالتزام به عند استواء المناسبة تبركاً "اهـ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" هذا من تدبير الحرب، وفيه حث على التصرّف بحكمة في ميادين القتال "اهـ

في عرض الإسلام على الكفار

قال الله تعالى: { **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلــوا علــيَّ وائتوني مسلمين** }[النمل: 30-31]، وقال: { **وقُل للذين أوتوا الكتاب والأمّــيين أأسلمتم** }[آل عمران: 20]، وكتب ﷺ إلى هِرقل: { **أسلِم تسلَم، وأسلم يؤتك اللهُ أجرك مرَّتين** }[متفق عليه].

عرضُ الإسلام على الكفار إحسانٌ إليهم بالتوسل إلى نقلهم من الكفر إلى الإيمـــان ، ومن أسباب السّخط إلى أسباب الرِّضوان.

في تخويف أهل الحرب وإرهابهم

قال الله تعالى حكايةً عن سليمان عليه السلام: { **ارجِع إليهم فلنأتينّهم بجنود لا قِبَلَ لهــم بها، ولنُخرِجنَّهم منها أذِلة وهم صاغرون** }[النمل: 37].

هذا دأبُ الأنبياء وفعلُ العُقلاء ؛ أخذهم أولاً بالتلطف والدُّعاء إلى الإســلام، فلمــا غالطوه وخدعوه بإرسال الهديَّة أغلظ لهم القولَ فقال: { فلنأتينّهم بجنود لا قِبَلَ لهم بهــا، ولنُخرِجنَّهم منها أذِلة وهم صاغرون }[1].

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هذا دلالة على حرمة التفاوض على الحقِّ، لكن يُدعى الكفار أو الحربيون إلى الحقِّ ويُنذرون بعواقب أمرهم، فإن لم يستجيبوا دفعوا الجزية إن كانوا من أهلها وإلا قُتلوا "اهــ

في الاستعداد لقتالهم بما يُرهبهم

قال الله تعالى: { **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل تُرهبون به عدوّ اللهِ وعدوّكم** }[1][الأنفال: 60]، وقال ﷺ: { **الخيلُ معقود بنواصيها الخــيرُ إلى يوم القيامة: الأجرُ والمغنم** }[متفق عليه].

إذا علم عدوك أنك متيقظٌ له ، مستعد لقتاله خافك وانقطعت أطماعُه منك.

في النفير وبذل الأنفس والأموال

قال الله تعالى: { **انفروا خِفافاً وثقالاً وجاهدوا بــأموالكم وأنفــسكم في ســبيل الله** }[2][التوبة: 41]، وقال: { **إلا تنفروا يُعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً** }[التوبة: 39].

أولى ما بذلت فيه الأنفس والأموال: طاعةُ ذي الجلال والإكرام ، ومن أفضل طاعاته: الجهاد في سبيله ؛ لما ذكرنا من فضائله العاجلة والآجلة.

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" ظاهر هذه الآية في الواجب عند عدم المُوجِب، فإن حدثَ مُوجِب كغصبٍ وما في معناه لشيءٍ من حقوق المسلمين وجب دفع المعتدي بما تيسَّر؛ وسيرة سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم خير شاهد على ذلك "اهــ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" هذا نصّ على عدم اشتراط الجيش الكامل في جهاد الحربيين، بل يجب النفور ولو في جماعة قليلة لما في ذلك من الحكمة "اهــ

في التشديد عليهم والغلظِة

قال الله تعالى: { **محمد رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفّار** }[الفتح: 29]، وقال: { **جاهد الكفارَ والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير** }[التوبة: 73]، وقال: { **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليَجِدوا فيكم غِلظة** }[التوبة: 123].

ينبغي أن يكون التشديدُ والغِلظةُ على الكفرة أبلغَ من الغلظة والتشديد على غيرهم من العُصاة ؛ لأن الغلظة على قدر الذّنوب ، وأعظم الذنوب ذنوب الكفار.

في المشاورة والتوكل على الله في القتال

قال الله تعالى: { **وشاورهم في الأمر فإذا عزمتَ فتوكل على الله إن الله يُحبّ المتوكلين** }[آل عمران: 159]، أي توكل على الله ولا تتوكل على المشاورة.

ما عُلِم أنه مصلحةٌ راجحةٌ فلا مشاورة في فعله، وما عُلم أنه مفسدةٌ راجحة فلا مشاورة في تركه، وما التبس أمرُه ففيه المشاورة؛ فإن الله لم يجمع الصواب كله لواحد، ولذلك شُرعت المشاورةُ؛ فإن الصوابَ قد يظهر لقوم وقد يغيبُ عن آخرين. وقد قيل للشافعي رضي الله عنه: أين العلمُ كلُّه؟ فقال:" في العالم كلِّه "، يعني: أن الله فرَّقه في عباده ولم يجمعه في واحد.

مع ما في ذلك من تطييب النفوس وتأليف القلوب ، وقد قال ربُّ العالمين لسيّد المرسلين: { **فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** }[آل عمران: 159].

فينبغي لمن تولى أمورَ المسلمين أن يقتدي بسيّد المُرسلين في ذلك، فيـــشاور في كـــل تصرّف مَن كان عارفاً بذلك التصرّف ، ولا يُشاور في كـــل فـــنٍّ إلا أربابَـــه، مُقـــدّماً لأفاضِلهم وأماثلهم على من دونهم.

في القتال لإنقاذ المسلمين من أيدي الكفار

قال الله تعالى: { **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمُستضعفين من الرجال والنساء والوِلدان** }[النساء: 75].

إنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القُرُبات ، وقد قال بعض العلمـــاء:" إذا أسروا مسلماً واحداً وجب علينا أن نواظبَ على قتالهم حتى نخلِّصه أو نبيدهم "، فما الظنّ إذا أسروا خلقاً كثيراً من المسلمين؟[1]

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي _ حفظه الله _:" وما الظنّ إذا أسروا شعباً كاملاً واستعمروه في أرضه؟ يجب أن تتوالى عليهم الضربات خفيفة وثقيلة من أهل البلد وغيرهم من المسلمين الوافدين حتى يتحقق الخلاص. وفي الآية إشارة لما ذكرت من كون الجهاد يجب لإعلاء كلمة الله تعالى والعمل بمقتضاها، وأن جميع ذلك في سبيل الله على التحقيق "اهـــ

في الثبوت في القتال

قال الله تعالى: { **إذا لقيتم فئةً فاثبُتوا** }[الأنفال: 45]، وقال: { **إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار** }[1][الأنفال: 15]، وقال: { **إن الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** }[الصف: 4].

الثبوت في القتال سببٌ للنصر والظفر ، مُضعفٌ لقلوب الكفار قاطع لرجائهم .

في بذل الجهد في النكاية بهم

قال الله تعالى: { **فإذا انسلخ الأشهر الحُرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مَرصَد** }[2][التوبة: 5].

في كيفية القتال

قال الله تعالى: { **فاضربوا فوقَ الأعناقِ واضربوا منهم كلَّ بنان** }[الأنفال: 12]، وقال: { **فإذا لقيتم الذين كفروا فضربُ الرّقاب** }[: 4].

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هاتين الآيتين نص على وجوب الثبات عند قتال الكفار، وحرمة الفرار الذي ثبت أنه كبيرة موبقة لخبر: { اجتنبوا السبع الموبقات } وجاء فيه: { والتولي يوم الزحف }.

وفي حكم الفرار من الزحف: التخلف عن الجهاد، فطالما أن المؤمن قادر على النصرة والالتحاق بصفوف المجاهدين، بل طالما كان قادراً على قتل المعتدين فتخلف و لم يفعل فإن إثمه جار عليه لا يخلصه استغفاره ما دام الحكم قائماً "اهـ

(2) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" هذه الآية اشتملت على أمور الجهاد: القتال والرّباط والأسر والحجب، ودلت عبارتها على النكاية بالمشركين في ذلك "اهـ

علم اللهُ عبادَه كيف يُقاتلون أعداءه ، فأمرهم بضرب الأعناق ؛ لأنه أقطع لغائلتهم ، وبقطع كل بنان ؛ لأنه مانع لهم من القتال.

في قطع أشجارهم وتخريب ديارهم

قال الله تعالى: { **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمةً علـــى أصـــولها فبـــإذن الله وليُخزيَ الفاسقين** }[الحشر: 5]، وقال: { **يُخربـــون بيـــوتهم بأيـــديهم وأيـــدي المؤمنين** }[الحشر: 2]، وقطع ﷺ نخلَ بني النضير وحَرَّقَ.

في التجلّد على ما يُصيبنا في الحرب

قال الله تعالى: { **وكأيّن من نبيّ قُتِلَ معه رِبّيُّون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما اســـتكانوا** }[آل عمـــران: 146]، وقـــال: { **ولا تهنـــوا ولا تحزنوا** }[الحشر: 2].

التجلد على ما يصيبنا في طاعة الله وجهاد أعداء الله صلابةٌ في ديننا ، ووهن لقلوب أعدائنا.

في الجدّ في طلبهم

قال الله تعالى: { **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** }(1)[النساء: 104]. وقال: { **الـــذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرحُ للذين أحسنوا منـــهم واتقـــوا أجـــرٌ عظيم** }[آل عمران: 172].

---

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هذه الآية نهي عن الضعف في طلب الكفار، فإن كانوا معتدين فهو أشد، ولا عذر للمسلمين في كثرة العدو أو ما في معناه من أسباب القنوط الموهنة للعزيمة "اهــ

في اجتناب التنازع في القتال

قال الله تعالى: { **ولا تنازعوا فتفشلوا وتــذهبَ ريحُكــم واصــبروا إن الله مــع الصابرين** }[1][الأنفال: 46].

في الدعاء بالمعونة والنصر والصبر

قال الله تعالى حكاية عن أصحاب طالوت: { **ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنــا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** }[البقرة: 270].

الدعاء بالمعونة والنصر تفويضٌ إلى الله ، وعمل بقوله: { **فإذا عزمت فتوكــل علــى الله** }[آل عمران: 159].

في المصابرة والرباط

قال الله تعالى: { **يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطــوا** }[آل عمــران: 200]، وقال تعالى: { **والصابرين في البأساء والضرّاء وحــين البــأس** }[البقــرة: 177].

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" في هذه الآية نهي عن الالتفــات إلى المنازعات بين فرق هذه الأمة ومذاهبها تجاه الجهاد، فيجب على الكلّ أن يكونوا صفاً واحداً في قتال الأعداء.

والظاهر من هذه الآية مع الآية التي نصت على محبة الله تعالى للذين يقاتلون في سبيله صفاً واحداً: أن الاجتماع في الجهاد سبب للهداية إلى الحق والصلاح في محل النزاع "اهــ

في أنا لا نطلبُ الصلح

قال الله تعالى: { فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلْم وأنتم الأعلون والله معكم }[1][محمد: 35].

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ــ حفظه الله ــ:" السلم الجائز على ضربين:

الضرب الأول: هدنة (وتسمى: صلح وموادعة ومعاهدة ومسالمة)، وهي مصالحة أهل الحرب على ترك القتال مدة معيَّنة، كصلح الحديبية. وهي إما أن تكون بطلبٍ من الأعداء فيجب على الإمام الاستجابة لهم على أن لا يزيد أجلها عن أربعة أشهر، وإما أن تكون بطلب من المسلمين فظاهر الآية يدل على النهي، لكن تقرر بعد الجمع بين النصوص الواردة: جواز طلب الصلح عند ظهور المصلحة فيه وترجيحها.

وبهذا يتبين أن السلم بمعنى مصالحة أهل الحرب على ترك القتال أبداً حرام وباطل، وأقبح منه أن يكون ذلك على حساب حق شرعي كمسامحتهم بأرضٍ من بلاد المسلمين، وهو ما نراه من بعض فجرة السلاطين في مصالحة اليهود بناءً على الاعتراف بكيانهم الغاصِب في فلسطين المباركة، حتى أنهم يستبيحون حرمات المسلمين حفاظاً على ودِّ هؤلاء الملعونين! فتبت يدا من بادر إلى هذا الظلم العظيم وعمل به؛ فإنه لا عذر لحاشية هؤلاء السلاطين في موافقتهم وطاعتهم، إذ لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

الضرب الثاني: استئمان، وهو إعطاء مسلمٍ الأمان لفردٍ من أهل الحرب قد طلبه منه، قال الله تعالى: { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه }[التوبة: 6]. "اهــ

في إجابتهم إلى صلح فيه حظُّ الإسلام

قال الله تعالى: { وإن جنحوا للسَّلْم فاجنح لها وتوكل على الله }[1] [الأنفال: 61].

في نبذ عهدهم إذا خيف غدرُهم

قال الله تعالى: { وإما تخافنَّ من قومٍ خيانةً فانبذ إليهم على سواءٍ، إن الله لا يُحِبّ الخائنين }[الأنفال: 58].

في المبالغة في نكاية الناقضين

قال الله تعالى: { فإما تثقفنَّهم في الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذَّكَّرون }[الأنفال: 57].

(1) قال الشيخ طارق بن محمد السعدي ـ حفظه الله ـ:" من خلال هذا النص والذي تقدم مع ما ورد في هذا الباب ثبت ما قدمته من حكم الصلح وهو ما أراده الشيخ في تبويبه، لكن الفجرة وقفوا على هذه الآية الكريمة وحرفوا معناها لإثبات بدعة الصلح التي ذكرتها قبل، وترك الجهاد مخالفة لحكم الله تعالى وتضييعاً لبلاد المسلمين وحقوقهم "اهـ

في فعل الأصلح

من الفداء وتأخير الأسر إلى ما بعد الإثخان

قال الله تعالى: { **فإذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرّقــاب حــتى إذا أثخنتمــوهم فشُدّوا الوَثاقَ فإما منا بعدُ وإما فِداء** }[محمد: 4].

" العزم التامُّ ": تأخيرُ الأسر إلى الإثخان.

وأما " شد الوثاق ": فإرشاد إلى الاحتياط في كل ما ينبغي أن يُحتاط له.

وأما " ضرب الأعناق وكل بنان ": فإن ضرب الأعناق يبيدهم، وقطع كل بنان يمنعهم من القتال، بخلاف إيقاع الضرب في غير هذين المحلين؛ فإن التوسيط عزيز قليل، ولا يتأتى ضرب الأوساط كما يتأتى ضرب الأعناق.

وأما " الثبوت في القتال " و " المبالغة في قتالهم بالأسباب المذكورة ": ففيه مبالغــة في زجرهم عن الكفر، مع ما فيه من إعزاز الدين، ونُصرة المؤمنين، وشفاء صــدورهم مــن الكافرين.

وأما " قطع الأشجار " و " تخريب الديار ": فخزي لهم وإضــعاف لقلــوهم؛ فــإن المصائب تُضعف القلوبَ وتكسِرُ النفــوسَ، ولــذلك قــال الله تعــالى: { وليُخــزيَ الفاسقين }[الحشر: 5].

وأما " الجِدُّ في طلبهم ": ففيه إيهامهم قوّة للمسلمين وكسر لشوكتهم.

وأما " اجتناب التنازع ": فإن الرأي إذا اتفق على كيدهم وقتالهم حصل الغرضُ، وإذا وقع التنازعُ جرى الأمر على خلاف ذلك.

وأما " الدعاء بالمعونة والنصر والصبر ": ففيه تفويض الأمر إلى مَن له الخَلقُ والأمـــرُ؛ { وتوكل عليه }[هود: 123]، { ومن يتوكل على الله فهو حسبُه }[الطلاق: 3] أي: كافيه.

وأما " الدعاءُ إلى الصّلح ": فضيمٌ على الإسلام، وذُلٌ ووَهْن، فلا يجوز إلا في حـــال الاضطرار ودفع أمر لا يُطيقه المسلمون كما عزم ﷺ أن يُصالح عام الخندق على ثلـــثِ ثمار المدينة؛ ومن ابتليَ بكلب عقورٍ فشغله عن شرّه وأذيته برغيف خبزٍ فلا ضَيم عليه في ذلك.

وأما " نبذُ العهد إلى من خيف خيانته ": فللمساواة في الخوف من الطـــرفين، كـــيلا نخاف ويأمنوا.

وأما " التشريد بسبب النقص ": فمعناه أن يفعل بهم من الأسر والحصر والإرقاق وأخذِ الأموال وسبي النساء والأطفال، ما نخوف غيرهم أن يصيبهم مثل ما أصابهم فيَشْرُدوا من البلاد خوفاً من مثل ذلك، أي: يهربوا منها.

تمت أحكام الجهاد وفضائله